أبعاد التصوف الاسلامي في كتاب اللمع لأبو نصر السراج الطوسي (ت: ٣٧٨هـ/٩٨٨م)

البعد التعبدي – النبوة

أ.د. عبد الرضا حسن جياد الحسيناوي
abdulredhachiad@gmail.com

حسن دوري عبيد الفرطوسي
hussandoory1964@gmail.com

تاريخ الطلب: ٢٠٢٠/١٠/٢٧

تاريخ القبول: ٢٠٢٠/١١/٣٠

الملخص:

لقد عبد الإنسان الله عز وجل لأخلاقيته الإلهية التي هي مجموعة المثل العليا التي يتصف بها الله عز وجل، فالله تعالى يتصف بالأسماء الحسنى ، فالإنسان المسلم الصوفي يريد ان يتقرب بطاعته وعبادته لله الأول والآخر ، لكي يفوز برضاه الأبدي .

وأبو نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م)، وضع في كتابه اللمع ابعاداً للتصوف الإسلامي – منها البعد التعبدي الذي يتمثل جانب منه بالنبوة . والذي تضمن تخصيص النبي (عليه السلام) وشرفه والفضيلة على اقرانهِ من الانبياء (عليهم السلام).

Abstract:

Man has worshiped Good Almighty for his divine mortality , which is the set of ideals that characterize God Almighty , because God is characterized by the beautiful names , for the and Sufi people want to be drawn closer to his obedience and worship to God the first and the other as they win with his eternal consent and Abu Nasr al-Saarrj al- Tusi (378A.H./988A.D.) Put in his book with the dimensions of Islamic mysticism , including the devotional dimension which is part of it in the prophecy , which included the prophency , which included the allocation of the prophet (peace and blessings be upon him) and his preference over his peers from the prophets , peace be upon them.

المقدمة:

يقتصر هذا البحث على ابعاد التصوف الإسلامي في كتاب اللمع لأبو نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م)- البعد التعبدي والذي يتمثل جانب منه بالنبوة .

وقد تضمن التصوف الإسلامي لغةً واصطلاحاً وأصل كلمة التصوف ، وورود الصوفية في القرآن والسنة ، وتضمن ايضاً – النبوة والعبقرية – والصوفية والنبوة – وكذلك تضمن ما ذكره أبو نصر السراج الطوسي في كتابه اللمع في تخصيص النبي (عليه السلام) وشرفه وتفضيله على اقرانهِ من الانبياء (عليهم السلام).

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن اجعله في مبحثين وخاتمة ، المبحث الأول: التصوف الإسلامي وتناولت فيه التصوف الإسلامي لغةً واصطلاحاً أولاً ، واصل كلمة التصوف ثانياً ، وورود الصوفية في القرآن والسنة ثالثاً .

والمبحث الثاني تضمن : النبوة – وتناولت فيه ، النبوة والعبقرية أولاً ، والصوفية والنبوة ثانياً ، وما ذكره ابو نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م) في تخصيص النبي (عليه السلام) وشرفه وتفضيله على اقرانهِ من الانبياء ثالثاً.

المبحث الأول : التصوف الإسلامي

أولاً: التصوف : لغةً واصطلاحاً :

أولاً: التصوف لغةً:

تعددت الآراء واختلفت حول الأصل اللغوي للتصوف وربما يعود ذلك إلى الغموض والسرية التي تكتنف التجربة الصوفية عبر التاريخ.

ومما أوردته معاجم اللغة حول الأصل اللغوي لكلمة تصوف منها، ما ذكر أن الصوف للشاة[1]، وقال ابن زكريا: (هو الصوف المعروف ، والباب كله يرجع إليه وكلمة صوف الصاد والواو والفاء هي أصل واحد صحيح)[2]، وفي موضع آخر ذكر أن (الصوف للضأن وما أشبهه؛ وقال : ابن سيدة: للغنم صوف وللمعز الشعر وللابل الوبر والجمع أصواف)[3] ، ومنهم من يرى بأن كلمة تصوف هي كلمة متولده أي ليس لها اشتقاق من اللغة[4]، كما وردت كلمة (صوف) تحت مادة (صوف) على عدة معانٍ في معاجم اللغة[5]، وإن كلمة (تصوف) من الناحية اللغوية مصدر خماسي من (صوف) والذي معناها يدل على لبس الصوف الذي كان ظاهره قد غلبت على أولئك الذين اتخذوا من الزهد طريقاً، ومنهجاً للارتقاء الروحي.[6]

ثانياً : التصوف اصطلاحاً :-

من الصعب على الباحث في تاريخ الصوفية التفريق بين تعاريف التصوف ومن الصعوبة ايضا ان يظفر بتعريف شامل جامع للتصوف ، لأن هذه التعاريف كثيرة ومختلفة ، فنجد التعريف متداخلاً مع اشتقاق التسمية ومن الصعوبة انفصالهما ، إذ تذكر لنا المصادر أن كلمة صوفي اطلقت في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة لأول مره في التاريخ الإسلامي على ابي هاشم الكوفي الزاهد[7] (ت:١٥٠هـ/٧٦٧م)، كذلك اطلقت كلمة صوفي أيضاً على جابر ابن حيان (ت:٢٠٠هـ/٨١٥م) الكيميائي الشهير من أهل الكوفة وكان له في الزهد مذهب خاص.[8]

هناك تعريفات عدة عرف بها التصوف ، وقد اختلف الصوفية في تعريف التصوف كاختلافهم في اصله واشتقاقه ، لكنهم إضافةً إلى ذلك ازدادوا فيه تناقضاً واختلافاً[9]، من ذلك عندما سئل التستري سهل بن عبدالله (ت: ٢٨٣ه / ٨٩٧م) ، عن المقصود بالصوفي فقال :(من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر).[10]

ومن الذين كان لهم قول في التصوف أيضا منهم ، يوسف بن الحسين (ت:٣٠٤ه/ ٩١٧م)[11]، والشاذلي (ت:٦٥٦ه /١٢٥٨م)[12] ، وعرفه اخرون منهم ، الكاشاني (ت:٧٣٠ه/١٣٢٩م)[13] ، بأن التصوف :(هو التخلق بالأخلاق الإلهية)[14] ، وابن خلدون (ت:٨٠٨ه/ ١٤٠٥م) فقال : (هذا العلم من العلوم الحادثة في الملة ، اي حدوث تسميته وأصله ، إن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة للحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن

زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف ، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني الهجري وما بعده ، وجنح الناس الى مخالفة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم (الصوفية و المتصوفة)[15]

إن تعريف ابن خلدون هذا حصل عليه اعتراض من قبل الصوفية انفسهم ، فقد ذكر ابي نصر السراج (٣٧٨ه/٩٨٨م) في باب ((الرد على من قال (لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم محدث)، حيث قال ، وأما قول القائل : انه اسم محدث ، فمحال ، لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف بهذا الاسم ، وكان الحسن قد ادرك جماعة من اصحاب رسول الله عليه السلام ورضي عنهم)).[16]

ولقد اعتبر تعريف ابن خلدون لعلم التصوف ناقصاً كما يذكر لأنه تناول الجانب العلمي لعلم التصوف المسمى (الطريقة) ولم يذكر الجانب الثاني من العلم وهو ثمار تحقق الجانب الأول وهو الشهود والعيان والكشف والمحبة والكرامة وغيرها المعبر عنها بـ: (الحقيقة).[17]

ثالثاً : أصل كلمة التصوف:

الباحثون و المؤرخون في التصوف افردوا فصولاً من البحث في أصل كلمة ((التصوف))، وهذه الفصول كانت تهدف في جملتها الى الكشف عن الحقيقة ومعرفة واشتقاقها ومصادرها، ولقد تعددت الآراء وتنوعت في كلمة ((التصوف)) وأصلها , ولقد كانت لهذه الكلمة أصولاً عدة[18]، منها :

١. ما ذكره ابو نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨ه/٩٨٨م) , في كتابه فقال :(نسبتهم الى ظاهر اللبسة، لأن لبسة الصوف دأب الانبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء والصديقين وشعار المساكين المتنسكين ، فلما اضفتهم الى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً مجملاً عاماً مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة، ألا ترى أن الله تعالى ذكر طائفة من خواص اصحاب عيسى فنسبهم الى ظاهر اللبسة فقال عز وجل :((إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ[19])) وكانوا قوماً يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى الى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم . والاعمال والاحوال التي كانوا بها متمرسين ، وكذلك الصوفية عندي).[20]

ولقد اختلف مؤرخو التصوف – هل الصوفية إلى الصوف ؟ فبعضهم نسبها إلى الصوف وبعضهم يرجعها إلى (الصفة) وآخرون يرجعونها إلى الصفاء ويريد بعض المتأخر أن ينسبها إلى كلمة : (سيوزوفي) التي تعني الاشراق .[21]

وقد رد أبو نصر السراج على من أدعى بأن اسم الصوفية محدث أحدثه البغداديون حيث قال ، لأن في وقت الحسن البصري كان يعلم هذا الاسم في الوقت الذي أدرك جماعة من أصحاب النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى اله وصحبه ، وقد روي عنه أنه قال : (رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق يكفيني ما معي) .[22]

وبإسناده عن محمد بن سيرين[23], فقد روي ابو الشيخ الاصفهاني[24], انه بلغة ان قوماً كانوا يفضلون لبس الصوف فقال :(ان قوما يتخيرون لباس الصوف , يقولون انهم يتشبهون بالمسيح بن مريم , وهدى نبينا احب الينا , وكان عليه السلام يلبس القطن ...، وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف , فقيل في احدهم صوفي ...).[25]

يمكن القول انهم فضلوا لبس الصوف هو لتركهم زينة الحياة وتأسياً بأمير المؤمنين علي ابن طالب (عليه السلام) لقوله لقد رقعت مدرعتي حتى استحييت من راقعها وهي دلالة على تعبدهم .

٢. وسمو بالصوفية لقول طائفة :(انما سميت الصوفية صوفية لصفاء اسرارها ,ونقاء اثارها), وهناك من قال ان (الصوفية من صفا قلبه لله) , وهو بشر ابن الحارث (ت:٢٢٧ه/٨٤١م).[26]

والشيخ الجيلاني (ت:٥٦١ه/١١٦٥م) ذكر[27] :((ان التصوف مأخوذ من الصفاء , وهو محمود في كل لسان (وبالضد منه) الكدورة مذموم في كل لسان , واشتقاق هذا الاسم من الصفاء))، وقال بعضهم : (الصوفي من صفت معاملته , وصفت له من الله عز وجل كرامته)[28], وقيل انه مشتق من الصفاء.[29]

وقيل انها نسبة الى شخص يقال له صوفه واسمه الغوث بن مره فانتسبوا اليه لمشابهتهم اياه في الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى فسموه بالصوفية[30] , ويظهر لنا ان ذلك بعيد لأنه شتان بين جوهر الصوفي و هو الانقطاع لله تعالى وبين تعليق الصوفة في رأس الغوث بن مره.

ورأي اخر يقول لأنهم في الصف الاول بين يدي الله (جل وعلا) لارتفاع هممهم , واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم , فلو نسبوا إلى الصف لقيل صفيّ.. سمو بذلك صوفيه.[31]

وهناك من ذهب الى ارجاع من سمو صوفيه الى بغلة رعناء قصيرة وهي الصوفاته فنسبوا لها لاجتزائهم بنبات الصحراء . وهذا بعيد لأن مصطلح الصوفي يختلف عن الصوفاني[32]. ودليل ذلك قول ابي نصر السراج(٣٧٨ه/٩٨٨م) كان ذلك اسماً مجملاً عاماً مخبر عن جميع العلوم والاعمال والاخلاق الشريفة والاحوال الشريفة[33]، فلا توجد مناسبه بين قول تسمية الصوفية بالصوفاني وقول ابي نصر السراج رحمه الله.

وذكر البيروني أن أصل هذه الكلمة فأخوذ من كلمة (صوفيا) اليونانية وهي التي قصد بها اليونانيون الحكمة , فكان للبيروني من بين مجموعة المؤرخين الذين انفردوا بهذا القول وهو وجود صلة بين اسم الصوفي وكلمة سوفيا اليونانية.[34]

ومنهم من ارجع بأنهم سمو صوفية , نسبة الى اهل الصفة وهم المهاجرين من فقراء المسلمين والذين لم يؤمن لهم بيوت في المدينة يأوون اليها فجعلت له زاديه اقامها الرسول محمد (عليه السلام) خارج مسجد الصفاء بالمدينة يأوون اليها من البرد والحر[35] والذين قال الله تعالى فيهم :{ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ}.[36]

يمكن القول ان أصل اشتقاق كلمة التصوف تباينت فيه الآراء وتعددت وكانت لكل منها وجه نظره في اختلاق هذه التسمية، ووجهة النظر التي يرجحها الباحث هو ما ذهب اليه ابي نصر السراج الطوسي (٣٧٨ه/٩٨٨م) هو للبسهم الصوف لأن لبسة الصوف دأب الانبياء عليهم السلام وسقا الاولياء والاصفياء.[37]

وذكر الهجويري(ت:٤٦٥ه/١٠٧٢م) ما نصه : ((اشتقاق هذا الاسم لا يصح على مقتضى اللغة من اي معنى لأن هذا الاسم اعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه وهم يشتقون الشيء من شيء مجانس له , وكل ما هو كائن ضد الصفاء , ولا يشتق الشيء من ضده , وهذا المعنى اظهر من التمس عند اهلهِ، ولا يحتاج الى العبارة , لأن الصوفي ممنوع من العبارة والاشارة)).[38]

اما اشتقاق كلمة (صوفي) من جانب اللغة العربية فقد قيل: ان الواضح من هذا الاسم انه لقب ولا يشهد له من جانب اللغة العربية اشتقاق ولا قياس .

ومنهم من يرى أن كلمة صوفية كلمة مولدة لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية, و لقد كان اصل هذه التسمية حسب رأي المستشرق ماسيتون هو : (ان التصوف مصدر للفعل الخماسي المصوغ من صوف للدلالة على من ليس الصوف , و من ثم التجرد لحياة الصوفية يسمى لدى الإسلام صوفيا , ورفض كذلك ماسيتون الاقوال الاخرى التي قال بها في اصل هذه الكلمة من القدامى والمحدثون).[39]

وقال القناد رحمه الله: "التصوف اسم وقع على ظاهر اللبسة وهم متفاوتون في معانيهم واحوالهم".[40]

سئل الشبلي رحمه الله : لم سميت الصوفية بهذا الاسم ؟ فقال: لبقيا بقيت عليهم من نفوسهم , ولولا ذلك لما لاقت بهم الاسماء , ولا تعلقت بهم.[41]

رابعاً: ورود الصوفية في القران والسنه:

ان من المؤشرات التي تدل على ان الصوفية موجودة في القرآن والسنة هو ما قاله ابي نصر السراج (٣٧٨ه/١٩٨٨م) رحمه الله في ((باب الرد على من زعم ان الصوفية قوم جهله , وليس لعلم التصوف دلالة من الكتاب والاثر)) فإنه قال: لا خلاف بين الأئمة في أن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه الصادقين والصادقات, والقانتين والقانتات, والخاشعين والخاشعات، والموقنين , والمخلصين , والمحسنين , والخائفين, والراجين , والوجلين , والعابدين , والسائحين , والصابرين , والراضين , والمتوكلين , والمخبتين , والاولياء , والمتقين , والمصطفين , والمحدثين , والابرار والمقربين..[42]

وقال ابي نصر: (وقد ذكر الله الشاهدين فقال:{ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}[43] . وذكر الله المطمئنين فقال: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}[44]. وذكر الله تعالى السابقين , و المتصدقين , و المسارعين الى الخيرات.[45]

وقال ابي نصر : (ولا خلاف ان هؤلاء كلهم في امة محمد صلى الله عليه وسلم , وهم يكونوا في الامة موجودين , واستعمال كونهم في كل وقت , لم يذكرهم الله تعالى في كتابه , ولم يصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم , ولما راينا ان اسم الايمان قد شمل جميع المؤمنين , وأفرد هؤلاء بأسماء مختصه من ذلك , دل على تخصيصهم من عامة المؤمنين الذين شملهم اسم الايمان) .[46]

ويمكن القول ان دلالة كلام ابي نصر يوحي ان الصوفية مشمولين من امة محمد صلى الله عليه واله وسلم بهذه الصفات ولولم يكونوا في الامة موجودين إذ ان اسم الايمان قد شمل جميع المؤمنين بحيث افرد هؤلاء بأسماء خاصة دل ذلك على تخصيصهم من عامة المؤمنين الذين شملهم اسم الايمان

ومن الدلائل الاخرى على ان الصوفية موجودة في القران والسنة هو من خلال ما اعتقد به الصوفية من آيات القران الكريم التي عززوا وايدوا بها مذهبهم . فقوله تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ}[47] وهي خطاب الله عز وجل لرسوله الكريم , فالصوفية قد اولوا هذه الآية وحملوها ما تحمل وما لا تحمل من المعاني التي ينطوي عليها مذهبهم بأن الله وحده هو الفاعل المطلق الذي يصدر عنه ويرد اليه كل فعل ,وان العبد من الرب كتابه القلم من الكاتب الذي يمسك به ويحركه , ويجري به يده فيكتب ما يشاء. [48]

وذكر أن معظم مقامات الصوفية واحوالهم والتي هي جوهر التصوف تستند أساساً الى شواهد من القران الكريم.[49]

وقد قيل : (ان الصوفية لهم طريق روحي يسيرون فيه , وهذا الطريق يعتمد اساساً ومنهجاً وغايةً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة , وهذا الطريق قد جربه الصوفية , فتبينت ثماره عن طريق التجربة ايضاً, وجوهر الطريق الصوفي هو ما سماه الصوفية المقامات والاحوال).[50]

اما عن التصوف في السنة الشريفة فقد ذكر ان هناك علاقة بين حديث رسول الله صلى الله عليه واله بين التصوف إذ اعتبر التصوف حديث رسول الله صلى الله عليه واله اساس الدين وهو كما وضحه ابي نصر السراج بقوله: حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اساس الدين لأن الله تعالى يقول : ((وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا))[51] فلما خوطبوا بذلك طافوا البلاد ، وطلبوا رواة الحديث , فلزموهم حتى نقلوا عنهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم , وجمعوا ما روي عن الصحابة و التابعين .[52]

وقد ذكر أن الصوفية وغيرهم بأن الرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم كان زاهداً في حياته , وقد نص على الزهد بكونه عباده وفضيلة ينبغي على كل مسلم التحلي بها.[53]

لقد ذكر ابو نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨ه/٩٨٨م) أن هناك اشارات تدل على أن الصوفية موجودة في القرآن والسنة , إذ قال: ((ان الله تبارك وتعالى أحكم أساس الدين وأزال الشبهة عن قلوب المؤمنين بما أمرهم به من الاعتصام بكتابه والتمسك بما وصل اليه من خطابه ,اذ يقول جل جلاله: ((واعتصموا بحبل الله

جميعا ولا تفرقوا))[54] وقال عز وجل : ((وتعاونوا على البر والتقوى))[55] , ثم ذكر الله تعالى افضل المؤمنين درجة و اعلاهم في الدين رتبة فذكرهم بعد ملائكته وشهد على شهادتهم له بالوحدانية بعدما بدأ بنفسه وثنى بملائكته فقال عز وجل: ((شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط))[56] وروي عن النبي صلى عليه وسلم انه قال : ((العلماء ورثة الانبياء)) وعندي و الله اعلم , أن أُولي العلم القائمين بالقسط الذين هم ورثة الانبياء هم المعتصمون بكتاب الله تعالى , المجتهدون في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم , المقتدون بالصحابة والتابعين , السالكون سبيل أوليائه المتقين وعباده الصالحين , هم ثلاثة اصناف: اصحاب الحديث , والفقهاء والصوفية) . [57]

المبحث الثاني : النبوة

أولاً: النبوة والعبقرية:

شهدت الدنيا في تاريخها الطويل عدداً كبيراً من العباقرة والعظماء والمصلحين، فهناك الزعماء والقادة السياسين والقادة العسكرين وهناك العلماء والمفكرون والفلاسفة الكبار والمخترعون العظام، وهناك المصلحون الاجتماعيون، وهناك الشعراء والأدباء، وهناك العدد الجم من الأشخاص الذين برزوا من ناحية أو أكثر من نواحي العبقرية البشرية، فقدموا لأممهم أو للبشرية باسرها خدمات نافعة وأعمالاً جليلة خلدت أسمائهم على صفحات التاريخ، ولكن أولئك العباقرة والمصلحون – من غير كل نكران لأعمالهم ومن غير بخس لتفوقهم ومن غير طمس لنواحي عظمتهم. لا يمكن ان يقاسوا بالأنبياء والمرسلين، ولا يصح ان يقال أن الأنبياء والمرسلين ما هم إلا عباقرة ومصلحين ليس إلا، لأن في ذلك إغفال لجانب أساسي في شخصيات الأنبياء والرسل يفتقر إليها العباقرة والمصلحون ألا وهي الوحي[58] والاصطفاء. [59]

فالنبوة لا تأتي بالاكتساب والمران وإنما هي اصطفاء واجتباء من قبل الباري عز وجل الذي يعلم حيث يجعل رسالته، وهم أي الأنبياء والرسل على انهم في الذروة من الذكاء والفطنة والعبقرية إلا أن ظاهرة النبوة التي ميزتهم عن سواهم ليست ظاهرة ذاتية نابعة من هذه الصفات وليست ثمرة لها. [60]

إن هناك فارق أساسي بين الأنبياء والرسل من جهة والمفكرين والمصلحين مهما بلغت درجة عبقريتهم من جهة أخرى، فالأنبياء يبلغون وحي السماء لذلك فكلامهم صواب لا يحتمل الخطأ، إن العبقرية البشرية تحمل بالضرورة طابع الأرض، أما النبوة فهي شيء مختلف تماماً يتميز بالسمو والكمال.[61]

ثانياً: الصوفية والنبوة:

ذُكر ان الصوفية عادوا بالحب إلى الفطرة، وقد رتبوا على ذلك أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو حبيب الله أصل هذهِ الأنوار، ومنه انبعثت أنوار النبوة، ونالت، من بحره العلوم، وظهرت عنه الحقائق والجمال.

والحلاج (ت: ٣٠٩ه)، خير من تكلم عن هذه النظرية، وما كان الحلاج ليصل ما وصل إليه من أفكار لأنه عاد بالحب إلى الفطرة، يقول في الطواسين: طس سراج من نور سراج من نور الغيب قد بدأ وعاد. وجاوز السراج وساد قمر تجلى من بين الأقمار، برجه في فلك الأسرار، سماه الحق أمياً. [62]

ويقول الحلاج، في غمار تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم: أنوار النبوة في نوره برزت، وأنوارهم من نورهِ ظهرت ... همّته سبقت كل الهمم، ووجودهِ سبق العدم، وأسمه سبق العالم، قبل أن يخلق القلم، لأنه كان قبل الأمم، ما كان في الآفاق ووراء الآفاق وخارج نطاق الآفاق أظرف، وأشرفِ، وأعف، وارأف، وأخوف واعطف من هذه القضية، وهو سيد البرية العلوم كلها قطرة من بحرهِ، والحكمة كلها حفنة من نهرهِ، والأزمان كلها ساعة من دهره. [63]

وذكر في كتاب (كشف المحجوب) إن الله تعالى أبقى برهان النبوة إلى آخر الزمان، وجعل أولياءه سبب ظهورهِ، حتى تكون آيات الحق وحجة صدق محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرات على الدوام. [64]

ثالثاً: ما ذكره أبي نصر السراج الطوسي في كتاب اللمع في تخصيص النبي (صلى الله عليه وسلم) وشرفه والفضيلة على أقرانه من الأنبياء (عليهم السلام).

قال أبو نصر السراج الطوسي في معنى، خصوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما نطق القرآن بشرفه، وما خص به من سائر الرسل عليهم السلام: قوله عز وجل: ((قل: هذهِ سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله، وما أنا من المشركين)). [65]

قال أبو بكر الواسطي (ت: ٣٢٠ ه)، رحمه الله في هذا المعنى: ادعوا إلى الله على بصيرة: يعني ان لا اشهد لنفسي، يعني أن لا أرى نفسي فاستعظم بشواهدي، ومعنى آخر على بصيرة: أن لا نملك ضراً ولا نفعاً إلا أن يتولى الله تعالى تقريبهما. [66]

وقد ذكر أبي نصر السراج الطوسي في بما فضل به النبي صلى الله عليه وسلم من خصوصية (فضل الحبيب على الخليل [67] قال إن موسى عليه السلام سأل ربه، عز وجل، فقال: ((رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري))[68] (ونودي محمد صلى الله عليه وسلم، بلا سؤال: ((ألم نشرح لك صدرك))[69] إلى آخر السورة. وكذلك سؤال إبراهيم عليه السلام: ((ولا تخزني يومَ يبعثون)).[70] وقال لنبينا، صلى الله عليه وسلم، من غير سؤال: ((يوم لا يخزي اللهُ النبيّ والذين آمنوا معه)). [71]

يمكن القول ان التفضيل الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم على النبي موسى عليه السلام أن انشراح الصدر كان بلا سؤال على العكس من النبي موسى عليه السلام كان من باب الطلب.

ومما قيل في هذا المعنى أيضاً[72]: إن الله عز وجل، خاطب جميع الخلق، ودعاهم إليه، ودلهم عليه بذكر الملك والملكوت، فقال: ((وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض))[73] وقوله: ((أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء))[74] وقوله تعالى: ((أفلم يتفكروا في انفسهم))[75] وقوله: ((أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت))[76] إلى آخر الآية، فلما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((ألم تر إلى ربك))[77] يا محمد ((كيف مدّ الظل)) فلما كان الخطاب مع الحبيب بدأ بذكره، فقال: ((ألأم ترَ إلى ربك)).

وفي (معنى) قوله: ((واتخذ الله إبراهيم خليلاً))[78] قالو: إن الخلة: ما يخلل القلب، والمحبة ما يكون في حبة القلب، يعني سويداء القلب، وسمي المحبة محبة لأنها تمحو بها ما سواها من القلب؛ فلذلك فضل الحبيب على الخليل.[79] وقال: ((افعل ما تؤمر))[80] وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم: ((ولسوف يعطيك ربك فترضى))[81] فدل بذلك فضل الحبيب على الخليل.[82]

وفي تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم في التوبة والخطيئة بالمقارنة مع اخوانه من الأنبياء، آدم وداود وسليمان عليهم السلام. ذكر أبو نصر السراج :[83]

وما قالوا في هذا المعنى: إن ادم صلوات الله عليه، لما ذكر الله تعالى توبته، فقال: ((وعصى آدم ربه فغوى)) [84] فذكر جنايته قبل توبته ((ثم اجتباه فتاب عليه وهدى)). [85]

وذكر أيضا: خطيئة داود عليه السلام ثم قال: ((فغفرنا له)).[86] وكذلك خبر عن سليمان عليه السلام بقوله: ((ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال ربِّ اغفر لي))[87]، وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((عفا الله عنك لمَ أذنتَ لهم)). [88]

والشاهد الآخر على تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام المعراج:

وقد ذكر أبو نصر السراج: وقالوا في معنى قوله تعالى: ((سبحان الذي اسرى بعبدهِ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله))[89]، أنه اسرى بروحه وجسده، ولو أنه اسرى بروحه، لم يقل: أسرى بعبدهِ؛ لأن اسم العبد لا يقع إلى على الروح والجسد. [90]

ومن الشواهد الأخرى للتفضيل هو الاصطفاء والاجتباء: حيث ذكر أبو نصر: وقيل في معنى قوله: ((وكان فضل الله عليك عظيماً))[91]: يعني باجتبائك واصطفائك، لأن النبوة والرسالة لم تقيم على الجزاء والاستحقاق، ولو كانت من جهة الجزاء والاستحقاق، لما فضل الله نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام لأنهم أكثر اعمالاً وأطول أعماراً. [92]

وفي باب آخر من تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم هو الصبر: حيث ذكر أبو نصر السراج في اللمع: وقالوا، في معنى قوله، عز وجل: ((واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا))[93] : أنه خاطبه بأتم الخطاب وأخص الفضيلة، إذ قال: ((واصبر لحكم ربك، فإنك بأعيننا)) وقال لغيره: ((اصبروا وصابروا))[94] وقال: ((إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)).[95]

وقد طالبهم بالصبر على المعاوضة، وطالب المصطفى، عليه الصلاة والسلام بالصبر مع المراقبة؛ وقال في موضع آخر: ((وأصبر وما صبرك إلا بالله)) لأنه، عليه الصلاة والسلام أجل عنده من أن يطالبه بمعاملة يقتضي عليها معاوضة؛ لأن محله صلى الله عليه وسلم، محل الاختصاص. [96]

يمكن القول إضافة لما ذكر من تفضيل التي صلوات الله عليه في البصيرة وفي باب تفضيل الحبيب على الخليل وفي التوبة وفي المعراج والاصطفاء والصبر، هي إن قمة جوهر تفضيله صلوات الله عليه أن جعله خاتم الأنبياء.

الخاتمة:

لقد كان من نتائج البحث كثرة الاختلاف في مفهوم التصوف واشتقاقهِ والذي يصعب فيه التوفيق بين الآراء التي تناولت مفهومه واشتقاقهِ ورغم تباين وجهات النظر حول هذا المفهوم يرجح الباحث أن أصل التصوف من لبسهم الصوف وهو دأب الأولياء والأنبياء (عليهم السلام). كذلك من خلال ما جاء في هذا البحث ورود الصوفية في القرآن والسنة من خلال ما اعتقد به الصوفية من آيات القرآن الكريم التي عززوا وأيدوا بها مذهبهم .

ومن النتائج أيضاً أن الصوفية عادوا بالحب الى الفطرة وقد رتبوا على ذلك أن محمداً (عليه السلام) هو حبيب الله أصل هذه الأنوار ، ومنه انبعثت أنوار النبوة ، ومن النتائج ، أن ابا نصر السراج الطوسي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م) ذكر في كتاب اللمع تخصيص النبي (عليه السلام) وشرفه وتفضيله على اقرانهِ من الانبياء (عليهم السلام) وقد عزز قوله: بقوله تعالى : ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة يوسف : ١٠٨).

ولقد كان تفضيل النبي (عليه السلام) في باب البصيرة وفي باب تفضيل الحبيب على الخليل وفي التوبة والمعراج والاصطفاء والصبر ، وقمة جوهر التفضيل كما يراه الباحث أن جعله خاتم الانبياء صلوات الله عليه.

الهوامش:

(١) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، (بيروت- دار العلم للملايين ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج٤، ص١٣٨٨.

(٢) الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت:٣٩٥هـ/١٠٠٥)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق- دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٣، ص٣٢٢.

(٣) ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت:٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب ، ط٤، (بيروت- دار صادر ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، ج٩، ص١٩٩.

(٤) الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي(ت:٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت- المكتبة العلمية ، د.ت)، ج١، ص٣٥٢.
(٥) وهو ما ورد اطلاق كلمة الصوف على شعر الحيوانات في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾، سورة النحل، الآية (٨٠).
(٦) الوائلي، عامر عبد زيد ، التصوف أبحاث ودراسات، (بيروت- منشورات ضفاف، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص٩.
(٧) كان معاصراً لسفيان الثوري ، وكان شيخاً بالشام مشهوراً بكنية الكوفي الأصل ، وقال عنه سفيان الثوري : (لولا أبو هاشم الصوفي لما عرفت دقيق الرياء) وقال أيضاً : (ما علمت معنى التصوف حتى رأينا هاشم الصوفي). ينظر: الجامي ، أبو البركات عبد الرحمن ، أبو البركات عبد الرحمن (ت:٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، نفحات الانس من حضرات القدس، ترجمة: تاج الدين محمد بن زكريا بن سلطان القرشي ، (القاهرة- دار المعارف ، د.ت) ، ص٦٤ , ص٦٧؛ أبو نصر السراج، عبد الله بن الطوسي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م)، اللمع ، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، (مصر- دار الكتب المصرية، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص٤٢.
(٨) السحمراني ، أسعد ، التصوف منشؤه ومصطلحاته ، (بيروت- دار النفائس ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢١.
(٩) ظهير ، إحسان إلهي ، التصوف – المنشأ والمصادر ، (باكستان- دار ترجمان السنة ، ١٩٨٦م)، ص٣٦.
(١٠) الكلاباذي ، أبي بكر محمد بن اسحاق (ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م)، التعرف لمذهب أهل التصوف، تعليق: أحمد شمس الدين، (بيروت- دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٢٥.
(١١) السلمي ، أبو عبد الرحمن (ت:٤١٢هـ/١٠٢١م)، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط٣، (القاهرة- مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ، ص٥٩.
(١٢) شيخ طائفة الشاذلية هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحميد المغزري الزاهد ، سكن الاسكندرية وصحبه بها جماعة وعنه أخذ الشيخ أبو العباس المرسي . للمزيد ينظر: الالوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين (ت:١٣١٧هـ/١٨٩٩م)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، تقديم : علي السيد صبح المدني، (القاهرة- مطبعة المدني، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١، ص٨٢.
(١٣) ويسمى أيضاً بـــ (القاشاني) كمال الدين: عبد الرزاق بن جمال الدين الكشاني ابن أبي الغنائم محمد الكاشي : له كتب (شرح نصوص الحكم لابن عربي)، و (تأويلات القرآن) وكشف الوجوه الفرقي في شرح تائية ابن القارض ، واصطلاحات الصوفية . للمزيد ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت:١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (مصر- مطبعة المعارف الجليلة ، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) ، ج٢، ص٩٨٤؛ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ/١٩٣٦م)، الاعلام، ط٥، (بيروت- دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج٣، ص٣٤٩-٣٥٠.
(١٤) الكاشاني ، عبد الرزاق (ت:٧٣٠هـ/١٣٣٠م) ، معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق: عبد العال شاهين ، (القاهرة- دار المنار ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص١٧٤.

(١٥) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ط٣، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ج١، ص٦١١.

(١٦) أبو نصر السراج، اللمع ، ص٤٢. وقال أبي نصر السراج في تعريف التصوف : أما التصوف ونعته وماهيته فقد سئل محمد بن علي القصاب ، وهو أستاذ الجنيد رحمه الله عن التصوف : ما هو ؟ ، قال: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام . ينظر: أبو نصر السراج، اللمع ، ص٤٥.

(١٧) ابن عطاء ، السكندري (ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية ، شرح الشيخ: عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي ، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٣٧١هـ/١٩٧١م)، ص٢٤.

(١٨) الشيبي ، كامل مصطفى ، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، (بيروت- دار المناهل، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٧.

(١٩) سورة المائدة، الآية (١١٢).

(٢٠) أبو نصر السراج، اللمع، ص٤٠-٤١.

(٢١) أبو نصر السراج، اللمع ، ص٤٠.

(٢٢) ابو نصر السراج ، اللمع، ص٤٢؛ السهروردي، شهاب الدين عمر (ت:٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، عوارف المعارف، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السابح، توفيق علي وهبة ، (القاهرة- مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ج١، ص٧٠؛ عفيفي، أبو العلا ، التصوف - الثورة الروحية في الاسلام ، (بيروت- دار الشعب للطباعة والنشر، د.ت) ، ص٢٦-٢٧.

(٢٣) البصري، أبو بكر محمد بن سيرين ، كان أبوه عبداً لأنس بن مالك ، وكان من سبي ميسان ويُقال من سبي عين التمر ، وكان أبوه سيرين من أهل جرجرايا ، وكنيته أبو عمره، وكان يعمل قدور النحاس ، سباه خالد بن الوليد عندما جاء إلى عين التمر . ينظر: ابن خلكان ، ابي العباس احمد بن محمد بن ابي بكر (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: محمد محي الدين ، (مصر- مطبعة السعادة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) ، ج٤، ص١٨١؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب ، (الهند- مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ج٩، ص٢١٤.

(٢٤) أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان ، الإمام الحافظ محدث أصبهان ، صاحب التصانيف ، طلب الحديث من الصغر ، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين ، اعتنى به الجد ، فسمع من جده محمد بن الفرج الزاهد ، ومن ابراهيم بن سعدان ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن حفص الهمداني رئيس اصبهان ، وابراهيم بن رسيه وأبي بكر أحمد بن عمرو والبزاز صاحب المسند واسحاق بن اسماعيل الرملي ، سمع منه في سنة أربع وثمانين ومائتين. ينظر: الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق وتخريج الأحاديث: شعيب الأرناؤوط ، وحسين الأسد ، ط٢، (بيروت- مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ج١٢، ص٣٠٥.

(٢٥) الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله ، حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين ، (الرياض- دار العاصمة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص١٧.

(٢٦) أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بت عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله الحافي ، وأصله من مرو من قرية بكرد ، سكن بغداد ومات فيها ، وصحب الفضل بن عياض ،وكان عالماً ورعاً ، قال يحيى بن أكثم ، قال المأمون : (لم يبق في هذه الكورة أحد يستحي منه غير هذا الشيخ: بشر بن الحارث ، توفي بشر بن الحارث في يوم الاربعاء من شهر محرم سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م. ينظر: السلمي، طبقات الصوفية، ص١٧؛ الاصفهاني ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت:٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، ط١، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ، ج٨، ص٣٣٦-٣٦٠؛

(٢٧) أبو محمد الجيلاني البغدادي عبد القادر بن أبي صالح موسى خيكي العارف بالله الصوفي الحنبلي ، دخل بغداد وسمع الحديث وتفقه على يد أبي سعيد المخرمي الحنبلي ولد سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م).

(٢٨) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص٢١.

(٢٩) ينظر: الكيلاني، عبد القادر الحسيني (ت:٥٦١هـ/١١٦٥م)، السفينة القادرية ، (بيروت- دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص٥.

(٣٠) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، تلبيس ابليس ، (بيروت- دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م)، ص١٤٥.

(٣١) السهروردي ، عوارف المعارف، ج١، ص٧٢.

(٣٢) ابن الجوزي ، تلبيس ابليس ، ص١٤٦.

(٣٣) أبو نصر السراج، اللمع ، ص٤٠-٤١.

(٣٤) عفيفي، التصوف - الثورة الروحية ، ص٣٤؛ جياد ، عبد الرضا ، التطور التاريخي للتيار الصوفي في بغداد ، ط٣، (بغداد- دار الكتب والوثائق ، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م)، ص٧٥.

(٣٥) السهروردي ، عوارف، ص٧٢؛ الزين ، سميح عاطف، الصوفية في الإسلام ، ط٢، (بيروت- دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص١٤.

(٣٦) سورة البقرة ، الآية (٢٧٣).

(٣٧) أبو نصر السراج، اللمع ، ص٤٠.

(٣٨) الهجويري ، أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الغزنوي (ت:٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، كشف المحجوب، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، تقديم: بديع جمعة، (القاهرة- المجلس الاعلى للثقافة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، ج١، ص٢٣٤.

(٣٩) ينظر: لويس ، مصطفى عبد الرزاق ، التصوف ، ترجمة: ابراهيم خورشيد وآخرون ، (بيروت- دار الكتاب اللبناني، د.ت)، ص٢٣-٢٤.

(٤٠) أبو نصر السراج، اللمع، ص٤٧.

(٤١) المصدر نفسه، ص٤٧.

(٤٢) المصدر نفسه ، ص٣٤.

(٤٣) سورة ق ، الآية (٣٧).

(٤٤) سورة الرعد ، الآية (٢٨).

(٤٥) أبو نصر السراج، اللمع ، ص٣٤.

(٤٦) المصدر نفسه ، ص٣٥.

(٤٧) سورة الأنفال ، الآية (١٧).

(٤٨) حلمي ، محمد مصطفى ، الحياة الروحية في الاسلام، (القاهرة ، ١٩٤٥م) ، ص٣٤.

(٤٩) عبد الحكيم ، بوشيخي، الرمز الصوفي عند ابن العربي (رمز المرأة ، والطبيعة، والخمرة)، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بلقايد-تلمسان- جامعة أبو بكر، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥-٢٠١٦م)، ص٧.
(٥٠) محمود ، عبد الحليم، قضية التصوف المنقذ من الضلال ، ط٥، (القاهرة- دار المعارف، د.ت)، ص٤٨.
(٥١) سورة الحشر ، الآية (٧).
(٥٢) أبو نصر السراج، اللمع ، ص٢٤.
(٥٣) فقال عليه افضل الصلاة والسلام : (ازهد بالدنيا يحبك الله ، وقال أيضاً: (إذا أراد الله بعبد خيراً فقهُ في الدين وزهده في الدنيا وبصره عيوبه)، وقال صلوات الله عليه واله وصحبه المنتجبين: (احفظ الله تجده امامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة). ينظر: عون ، فيصل بدير، التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، (القاهرة- مكتبة سعيد رأفت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٩٠.
(٥٤) سورة آل عمران، الآية (١١٢).
(٥٥) سورة المائدة ، الآية (٢).
(٥٦) سورة آل عمران، الآية (١٨).
(٥٧) أبو نصر السراج، اللمع، ص٢١-٢٢.
(٥٨) وحيّ: أصل الوحي الإشارة السريعة ويتضمن السرعة، قيل أمر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد من التركب وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى ضمن زكريا: ((فخرج على قومهِ من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً)) [مريم: ١١]، فقد قيل رمز وقيل اعتبار وقيل كتب، وعلى هذه الوجوه قوله: ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)) وقوله: ((وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ)) [الأنعام: ١٢٩]، ويقال للكملة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيّ، وذلك حسبما دل عليه قوله: ((وما كان لبشر أن يكلمهُ الله إلا ويحاً)) إلى قولهِ: ((بإذنهِ ما يشاء)) [الشورى: ٥١] وذلك أما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل (عليه السلام) للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة معينة، وأما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى (عليه السلام) كلام الله، وأما بإلقاء في الروع كما ذكر عليه الصلاة والسلام: (إن روح القدس نفث في روعي)، وأما بإلهام نحو: ((وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه)) [القصص: ٧]، وأما بتسخير نحو قوله: ((وأوحى ربك إلى النحل)) [النحل: ٦٨] أو بمنام كما قال عليه الصلاة والسلام: (انقطع الوحي وبقيت المبشرات)، ومن انواع الوحي الأخرى قوله تعالى: ((وإذا اوحيت إلى الحواريين)) [المائدة: ١١١]، فذلك وحي بواسطة عيسى عليه السلام، وقوله: ((وأوحينا لهم فعل الخيرات)) [الأنبياء: ٧٣] فذلك وحي إلى الأمم بواسطة الأنبياء. ومن الوحي المختص بالنبي عليه الصلاة والسلام: ((اتبع ما أوحي اليك من ربك)) [الإنعام: ١٠٦] ((إن اتبع إلا ما يوحى إلي)) [الكهف: ١١]، وقوله: ((وأوحينا إلى موسى وأخيه)) [يونس: ٨٧]، فوحيه إلى موسى بواسطة جبريل، ووحيه تعالى إلى هارون بوساطة جبريل وموسى، وقوله: ((إذا يوحي ربك إلى الملائكة أن تعلم)) [الأنفال: ١٢]، فذلك وحي اليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قيل. ينظر: الأصفهاني، الراغب (ت:٥٠٢هـ/١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: عدنان صفوان داودي ، (دمشق- دار القلم ، ١٤١٢هـ) ، ص٥٣٨-٥٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ص١٧٥.
(٥٩) عبد المجيد، صلاح الدين، نظرات في النبوة، (بغداد- منشورات مكتبة الرصافي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص٣٨-٤٠.

(٦٠) عبد المجيد، نظرات في النبوة، ص٣٩.
(٦١) ينظر: عبد المجيد، صلاح الدين، نظرات في النبوة، ص٤٠.
(٦٢) الحلاج، الحسين بن منصور(ت:٣٠٩هـ/٩٢١م)، الطواسين، نشره ماسينون، (باريس، ١٩١٣م)، ص٩. جياد، عبد الرضا حسن، التطور التاريخي للتيار الصوفي في بغداد، ص٢١٤.
(٦٣) ينظر: ينظر: شيمل، آنا ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ، ورضا حامد قطب ، ط١، (بغداد- منشورات الجمل ، كولونيا (المانيا)، ٢٠٠٦م)، ص٨٢.
(٦٤) الجامي، نفحات الانس من حضرات القدس، ص٣٤.
(٦٥) سورة يوسف: الآية ١٨٠.
(٦٦) أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٣؛ وذكر في تفسير هذه الآية الكريمة، قال الطبري: وحقُ الله على من اتبعه أن يدعوا إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهي عن معاصي الله. الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م)، تفسير الطبري ، (جامع البيان في تفسير القرآن)، ط٤، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)، مج٧، ص٣١٥.
(٦٧) أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٤.
(٦٨) سورة طه: الآية ٢٥-٢٦.
(٦٩) سورة الشرح: الآية ١.
(٧٠) سورة الشعراء: الآية ٨٧.
(٧١) سورة التحريم: الآية ٨.
(٧٢) أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٤-١٥٥.
(٧٣) سورة الإنعام: ٧٥.
(٧٤) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
(٧٥) سورة الروم: الآية ٨.
(٧٦) سورة الغاشية: الآية ١٧.
(٧٧) سورة الفرقان: الآية ٤٥.
(٧٨) سورة النساء : الآية ١٢٥.
(٧٩) أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٥.
(٨٠) سورة الصافات: ١٠٢.
(٨١) سورة الضحى: ٥
(٨٢) أبو نصر السراج، المع، ص١٥٥.
(٨٣) أبو نصر السراج، اللمع، ص١٥٥.
(٨٤) سورة طه: ١٢١.
(٨٥) سورة طه: ١٢٢.
(٨٦) سورة ص: ٢٥.
(٨٧) سورة ص: ٣٤-٣٥
(٨٨) سورة التوبة: ٤٣، قال بعضهم في ذكر معنى هذه الآية: آنسه بذكر العفو حتى لا يوحشه ذكر العقاب؛ وقال أيضاً: ((ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)) [الفتح: ٢]، فابتدأ بذكر الغفران قبل الذنب، وغفر له الذنب قبل أن يذنب، (وقيل العتب)، وقالوا أيضاً معنى آخر: إن جميع ما أعطى الأنبياء عليهم

السلام من الكرامات قد أعطى مثله محمداً صلى الله عليه وسلم وزاد له (عليهم): مثل انشقاق القمر، ونبع الماء من الأصابع، والمعراج وغير ذلك. ينظر: أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٥-١٥٦.

(٨٩) سورة الإسراء: ١

(٩٠) أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٦.

(٩١) سورة النساء: ١١٣.

(٩٢) أبو نصر السراج، اللمع، ص١٥٦.

(٩٣) سورة الطور: ٤٩.

(٩٤) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٩٥) سورة الزمر: ١٠.

(٩٦) سورة النحل: ١٢٧؛ ينظر: أبو نصر السراج ، اللمع، ص١٥٧.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

المصادر الأولية:

١. ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، تلبيس ابليس ، (بيروت- دار الفكر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
٢. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري (ت:١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الارناؤوط ، (بيروت- دار ابن كثير، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
٣. ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت:٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب ، (الهند- مطبعة دائرة المعارف النظامية ، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م).
٤. ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ط٣، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
٥. ابن خلكان ، ابي العباس احمد بن محمد بن ابي بكر (ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: محمد محي الدين ، (مصر- مطبعة السعادة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م).
٦. ابن عطاء ، السكندري (ت:٧٠٩هـ/١٣٠٩م) ، اللطائف الإلهية في شرح مختارات من الحكم العطائية، شرح الشيخ: عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي ، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٣٧١هـ/١٩٧١م).
٧. ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت:٧٧٤هـ/١٣٧٤م) ، البداية والنهاية ، توثيق: عبد الله اللاذقي ومحمد غازي بيضون ، ط٨، (بيروت- دار المعرفة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
٨. ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت:٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب ، ط٤، (بيروت- دار صادر ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
٩. أبو نصر السراج، عبد الله بن الطوسي (ت:٣٧٨هـ/٩٨٨م)، اللمع ، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، (مصر- دار الكتب المصرية، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م).
١٠. الاصفهاني ، أبي نعيم أحمد بن عبد الله (ت:٤٣٠هـ/١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، ط١، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

١١. الأصفهاني، الراغب (ت:٥٠٢هـ/١١٠٨م)، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: عدنان صفوان داودي ، (دمشق- دار القلم ، ١٤١٢هـ).
١٢. الالوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله أبو البركات خير الدين (ت:١٣١٧هـ/١٨٩٩م)، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، تقديم : علي السيد صبح المدني، (القاهرة- مطبعة المدني، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).
١٣. الجامي، أبو البركات عبد الرحمن (ت:٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، نفحات الانس من حضرات القدس، ترجمة: تاج الدين محمد بن زكريا بن سلطان القرشي ، (القاهرة- دار المعارف ، د.ت).
١٤. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت:٣٩٣هـ/١٠٠٢م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤، (بيروت- دار العلم للملايين ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
١٥. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت:١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (مصر- مطبعة المعارف الجليلة ، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م).
١٦. الحلاج، الحسين بن منصور(ت:٣٠٩هـ/٩٢١م)، الطواسين، نشره ماسينون، (باريس، ١٩١٣م).
١٧. الخطيب البغدادي، الحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي (ت:٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، تاريخ بغداد، تاريخ بغداد، وقف على طبعه: محمد أمين الخانجي ، (القاهرة- مكتبة الخانجي ، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م).
١٨. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق وتخريج الأحاديث: شعيب الأرناؤوط ، وحسين الأسد ، ط٢، (بيروت- مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
١٩. الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت:٣٩٥هـ/١٠٠٥)، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دمشق- دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
٢٠. الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت:١٣٩٦هـ/١٩٣٦م)، الاعلام، ط٥، (بيروت- دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
٢١. السلمي ، أبو عبد الرحمن (ت:٤١٢هـ/١٠٢١م)، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط٣، (القاهرة- مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
٢٢. السهروردي، شهاب الدين عمر (ت:٦٣٢هـ/١٢٣٥م)، عوارف المعارف، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السابح، توفيق علي وهبة ، (القاهرة- مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
٢٣. الشعراني، ابي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري الشافعي المصري (ت:٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) ، طبقات الشعراني، (مصر- مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
٢٤. الطبري، محمد بن جرير (ت:٣١٠هـ/٩٢٢م)، تفسير الطبري ، (جامع البيان في تفسير القرآن)، ط٤، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
٢٥. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي(ت:٧٧٠هـ/١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (بيروت- المكتبة العلمية ، د.ت).
٢٦. الكاشاني ، عبد الرزاق (ت:٧٣٠هـ/١٣٣٠م) ، معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق: عبد العال شاهين ، (القاهرة- دار المنار ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
٢٧. الكلاباذي، أبي بكر محمد بن اسحاق (ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، التعرف لمذهب أهل التصوف، تعليق: أحمد شمس الدين، (بيروت- دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٢٨. الكيلاني، عبد القادر الحسيني (ت:٥٦١هـ/١١٦٥م)، السفينة القادرية، (بيروت- دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢٩. الهجويري ، أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الغزنوي (ت:٤٦٥هـ/١٠٧٢م)، كشف المحجوب، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، تقديم: بديع جمعة، (القاهرة- المجلس الاعلى للثقافة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

المراجع العربية:

٣٠. جياد ، عبد الرضا ، التطور التاريخي للتيار الصوفي في بغداد ، ط٣، (بغداد- دار الكتب والوثائق، ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م).
٣١. حلمي ، محمد مصطفى ، الحياة الروحية في الاسلام، (القاهرة ، ١٩٤٥م).
٣٢. الزين ، سميح عاطف، الصوفية في الإسلام ، ط٢، (بيروت- دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
٣٣. السحمراني ، أسعد ، التصوف منشؤه ومصطلحاته ، (بيروت- دار النفائس ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
٣٤. الشيبي ، كامل مصطفى ، صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، (بيروت- دار المناهل، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
٣٥. ظهير ، إحسان إلهي ، التصوف – المنشأ والمصادر ، (باكستان- دار ترجمان السنة ، ١٩٨٦م).
٣٦. عبد المجيد، صلاح الدين، نظرات في النبوة، (بغداد- منشورات مكتبة الرصافي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
٣٧. عفيفي، أبو العلا ، التصوف - الثورة الروحية في الاسلام ، (بيروت- دار الشعب للطباعة والنشر، د.ت).
٣٨. عون ، فيصل بدير، التصوف الإسلامي الطريق والرجال ، (القاهرة- مكتبة سعيد رأفت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
٣٩. الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله ، حقيقة التصوف وموقف الصوفية من أصول العبادة والدين ، (الرياض- دار العاصمة ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).
٤٠. محمود ، عبد الحليم، قضية التصوف المنقذ من الضلال ، ط٥، (القاهرة- دار المعارف، د.ت).
٤١. الوائلي، عامر عبد زيد ، التصوف أبحاث ودراسات، (بيروت- منشورات ضفاف، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

المراجع المعربة :

٤٢. شيمل، آنا ماري، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة: محمد إسماعيل السيد ، ورضا حامد قطب ، ط١، (بغداد- منشورات الجمل ، كولونيا (المانيا)، ٢٠٠٦م).
٤٣. لويس ، مصطفى عبد الرزاق ، التصوف ، ترجمة: ابراهيم خورشيد وآخرون ، (بيروت- دار الكتاب اللبناني، د.ت).

الرسائل والاطاريح :

٤٤. عبد الحكيم ، بوشيخي، الرمز الصوفي عند ابن العربي (رمز المرأة ، والطبيعة، والخمرة)، رسالة ماجستير غير منشورة ، (بلقايد-تلمسان- جامعة أبو بكر، ١٤٣٦-١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥-٢٠١٦م).